**السوافة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية : الأهمية العددية وإسهاماتهم في الحياة الإقتصادية والإجتماعية( 1860-1960)**

حاولت من خلال هذه الورقة رصد أهم المصادر المتوفرة بالأرشيف التونسي التي تساعدنا على كتابة هجرة أهل واد سوف إلى البلاد التونسية من 1860 إلى 1960 ومساهماتهم في الحياة الإقتصادية والإجتماعية.

ويعزى إختيارنا لهذه الحقبة التاريخية الطويلة المدى للتأكيد على الحضور المتواصل للسوافة بالبلاد التونسية. فلم تكن هجرتهم ظاهرة عابرة وإنما هي ملازمة لحياتهم. ولا يمكن بأية حال ان نحدد بصفة دقيقة متى بدأت هذه الحركة وإنما تم إختيارنا لسنة 1860 بسبب وجود دفتر جبائي يتعلق بإحصاء سكان الجريد المطالبين بدفع ضريبة ألإعانة سجلت به أسماء أهل واد سوف المطالبين ايضا بدفع هذه الضريبة. أما الحد الأدنى التاريخي لهذه الدراسة أي سنة 1960 فقد فرضته كذلك المصادر المتوفرة لدينا .وبين الحدين الفاصلين وجدنا عدة وثائق بها معلومات هامة حول عدد السوافة وتوزعهم الجغرافي وأنشطتهم.

لقد تبين لنا وجود ثلاث مناطق رئيسية لتمركز السوافة بالبلاد التونسية، منها ما هو مرتبط بالتقاليد الهجرية لأهل الوادي وهي منطقة الجريد ومدينة تونس، بينما ارتبطت المنطقة الثالثة الجاذبة للسوافة بالإستغلال الرأسمالي للثروات الباطنية لمحمية تونس وهي منطقة الحوض المنجمي بقفصة، حيث اعتمدت شركة فسفاط قفصة على اليد العاملة الأجنبية. ومثّل السوافة الفريق الجزائري الثاني الذي تم الإعتماد عليه منذ بداية استغلال منجم الرديف ليتجاوز فيما بعد كل الفرق الأجنبية أي القبالية والطرابلسية والمغاربة.

إن الإحصائيات التي قامت بها السلطات التونسية قبل انتصاب الحماية الفرنسية والسلطات الإستعمارية قبل عام 1921، تاريخ أول تعداد رسمي للأهالي والإسرائليين التونسيين والمسلمين الوافدين من مختلف الأقطار الإسلامية، قد أنجزت لأغراض شتى مما مكننا من الحصول على معلومات حول المهن التي تعاطاها السوافة بالمناطق الثلاثة التي استقطبتهم (الجريد وحاضرة تونس والحوض المنجمي بقفصة).

لقد وفر لنا التعداد الأول من جهته العدد الرسمي للسوافة بمدينة تونس إذ تم إحصاء كل فريق جزائري على حدة.ولم تسعفنا التعدادات الأخرى التي انجزت بين الحربين بمعلومات دقيقة حول عددالسوافة بسب إحصاء كل الفرق الجزائرية في خانة واحدة.

لاشك أن الإحصائيات تمثل إحدى المصادر التي يمكن الإعتماد عليها وإستنطاقها لمعرفة بعض جوانب من حياة السوافة بالبلاد التونسية ولكن لا بد من الإستعانة بوثائق أخرى مثل مراسلات القياد في فترة ما قبل الحماية وكذلك مراسلات أعوان السلطات الإستعمارية .

إن التطرق لمسألة الوافدين على البلاد التونسية يفرض عليك طرح عدة أسئلة قد تعوزك الوثائق المتوفرة عن الإجابة عنها بكل دقة، مثل علاقات السوافة مع الأهالي ومع الفرق الجزائرية الأخرى وفيما بينهم في مختلف ميادن الشغل وأثناء الأزمات إلى غيرذلك من الأسئلة التي تطرح بشأن المهاجرين في مختلف الفترات التاريخية.لقد عثرنا على بعض الإشارات المساعدة على فهم طبيعة هذه العلاقات ولكن تبقى دائما دون ما يشفي غليل المتعطش لمعرفة ما حدث بصفة فعلية.ولكن هذا لايمنعنا من التساؤل حول قضايا ما زالت تطرح بشأن المهاجرين على أمل العثور على وثائق تزيل الغموض عن بعض المسائل التي طرحناها.

د.عبدالكريم الماجري

استاذ التعليم العالي (تاريخ معاصر)

كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة تونس